عرض كتاب انتقام الجغرافيا

تأليف : روبرت د. كابلان

ترجمة : د. إيهاب عبد الرحيم علي

The Revenge of Geography.

Robert D. Kaplan

تقديم وعرض : أ. د. عبد الحميد صالح بن خيال

قسم الجغرافيا

كلية الآداب _ جامعة بنغازي

حظيت في سنة 2014 بقضاء جزء من إجازة التفرغ العلمي في قسم الجغرافيا بجامعة كلارك بولاية ماستشوسس ، التي كُنت قد تحصلت منها على شهادة دكتوراه الفلسفة في الجغرافيا في سنة 1985. و نظراً لشغفي بقراءة الكتب واقتنائها كنت أقضي معظم وقتي في المكتبات أبحث عن الكتب الصادرة حديثاً في الجغرافيا في المكتبات الجامعية، ودور النشر الخاصة بمدينتي وستر وبوستن، هذا بالإضافة إلى عمليات البحث في مواقع الشركات الكبرى لبيع الكتب مثل (أمازون ، و بارنز ونوبل). ومن خلال هذا التجوال والزيارات لهذه المكتبات لفت انتباهي كتاب(The Revenge of Geography) فاشتريته وقرأته بنهم واستمتعت بقراءته، وفي سنة 2015 عندما كنت في زيارة إلى الأردن عثرت على ترجمة لهذا الكتاب تحت عنوان (انتقام الجغرافيا: ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة وعن الحرب ضد المصير)، وقد رأيت أن أطلع قراء مجلة كلية الآداب على ما جاء فيه ضمن باب "مراجعات الكتب" الذي استحدثته هيأة تحرير المجلة لكي تعم الفائدة ، فأرجو أن يكون اختياري لهذا الكتاب موفقاً، وأن يكون عرضي له ملماً بما ورد فيه من أفكار وأحداث، وأن أستطيع أن أوصل الرسالة التي ضمنها المؤلف في هذا الكتاب. كما أتمنى أن يكون هذا العرض باكورة أعمال أخرى ، وعاملاً محفزاً لزملاء آخرين يقدمون عروضا لكتب قيمة في مجالات أخرى في المستقبل.

نبذة عن المؤلف والمترجم:

قبل أن أتحدث عن محتوى الكتاب و القضايا التي تمت مناقشتها بين طياته، أود أن أعرج على التعريف بكاتب هذا الكتاب ومترجمه. فمؤلف الكتاب هو الصحفي الأمريكي الشهير روبرت د. كابلان ، الذي ولد في سنة 1952 في نيويورك، وتخرج في سنة1973 من جامعة كونيتيكت بالولايات المتحدة. عمل كابلان مراسلاً صحفياً دولياً من مناطق عديدة في العالم منها الوطن العربي، و دول البحر المتوسط، وسافر إلى العديد من الدول الأوربية، ودول الشرق الشيوعي (شرق أوربا) أثناء الحرب الباردة، وأجزاء من الشرق الأدنى والأوسط، وقد قضى فتر 16 سنة خارج الولايات المتحدة. وألف 15 كتاباً في مجال الشؤون الدولية، ونشرت له مقالات في العديد من الصحف الأمريكية حول الشؤون الخارجية. وعمل مستشاراً في الجيش الأمريكي ، وحاضر في كليات الحرب العسكرية ، ومكتب التحقيقات الفيدرالية، ووكالة الأمن القومي ، والبنتاغون، ووكالة المخابرات المركزية، وفي العديد من الجامعات الكبرى ، والمنتديات التجارية العالمية. عينه وزير الدفاع روبرت غيتس عضواً في مجلس السياسات الدفاعية في البنتاغون، لتقديم المشورة في الفترة من 2009 إلى 2011. واختارته مجلة السياسة الخارجية في عامي 2011 و2012 واحداً من بين أفضل مائة مفكر عالمي.

أما بالنسبة لمترجم الكتاب فهو الدكتور إيهاب عبد الرحيم علي ولد في سنة 1965 في مصر، ويحمل الجنسيتين المصرية والكندية. تخرج في كلية الطب، جامعة أسيوط سنة 1988. وهو حاصل على العديد من الشهادات في الطب والإعلام الصحي والترجمة من جامعات مختلفة.

عرض الكتاب ونقده :

يتكون الكتاب من 447 صفحة من القطع المتوسط ، وهو يعد الكتاب رقم 420 ضمن سلسلة المعرفة، التي تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، وقد صدرت هذه الترجمة في يناير2015 . ويضم هذا الكتاب مقدمة وخمسة عشر فصلاً موزعة على ثلاثة أجزاء.

يفتتح المؤلف مقدمة الكتاب التي اختار لها عنوان (الحدود) بالعبارة التالية: " ثمة مكان جيد لفهم الحاضر، ولطرح الأسئلة حول المستقبل، وهو أديم الأرض، مع السفر فوقها بأبطأ ما يمكن". ونفهم من هذه الافتتاحية تأكيد المؤلف على أهمية الجغرافيا في فهم الصراعات والحروب القائمة في أماكن متعددة من العالم في الوقت الحاضر، و تزويدنا ببعض الحقائق والمعلومات التي تساعدنا في التنبؤ بمناطق التوتر والصراع في المستقبل. ويؤكد كابلان على أن الحدود الطبيعية المتمشية مع الجبال، هي التي تكاد تكون أكثر استقراراً وتفصل بين مجموعات عرقية وثقافية مختلفة، في حين نجد أن الحدود الاصطناعية التي قد تقسم الشعوب ذات اللغة والثقافة الواحدة مصيرها للزوال ويضرب على ذلك مجموعة من الأمثلة (منها الحدود التي كانت تقسم ألمانيا، وفيتنام، واليمن). ويقول كابلان بأن الحدود التي يصنعها البشر، والتي لا تتفق مع الحدود الطبيعية تكون غير حصينة، فهي تعتبر حدوداً اعتباطية لا تستند إلى أي منطق جغرافي، وقد تقسم أمة عرقية عند نقطة اتفق أن يتوقف عن القتال عندها جيشان متحاربان.

يحمل الجزء الأول عنوان " الحالمون" ويضم ثمانية فصول ركزت في مجملها على آراء المؤرخين والمفكرين والجغرافيين ونظرياتهم الجيوسياسية التي صاغوها لتفسير حركة التاريخ والصراعات العالمية مابين الدول والأمم منذ القدم حتى أواخر القرن العشرين.

يتحدث كابلن في الفصل الأول الذي حمل عنوان " من البوسنة إلى بغداد " عن ضرورة استعادة إحساسنا بالجغرافيا واحترامنا لها ولخريطة التضاريس، وما يمكن أن تتنبأ بحدوثه هذه الخريطة في بلدان البلقان (البوسنة) وفي الشرق الأوسط (العراق). و يقول بأنه بالرغم من أن فقدان الإحساس بأهمية الجغرافيا قد يكون قد حدث بشكل تدريجي، لكن اللحظة الفارقة التي ربما أعمتنا عن حقيقة العوائق الجغرافية التي لا تزال تقسمنا، قد حدثت بعد سقوط جدار برلين. فيرى كابلن أنه منذ تلك الفترة التي تفكك فيها الاتحاد السوفياتي، وظهرت فيه الدول المستقلة عنه في وسط آسيا و شرق أوربا، وانهار فيها جدار برلين ،فقد

ساد الاعتقاد لدى بعض المثاليين من أسماهم كابلن (الحالمون)، بأن كل الانقسامات البشرية يمكن التغلب عليها ، وأن الديمقراطية ستنتصر بالسهولة نفسها التي حدثت بها في أوربا الشرقية. وقد تزامن ذلك مع ظهور المقالة الشهيرة لفوكوياما عن " نهاية التاريخ". ، واعتقد هؤلاء بأن الأيديولوجية الشيوعية قد هزمت، وأن نجاح الديموقراطيات الليبرالية الرأسمالية قد أنهى الجدل حول ماهية نظام الحكم الأفضل للبشرية. وتبنى المثاليون مبدأ عولمة العالم (أو أمركته) في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية. وشجعوا على التدخل العسكري للولايات المتحدة وحلفائها في أوربا (أو في حلف الناتو) في العديد من بؤر العالم المتوترة في التسعينيات. وبالرغم من النجاحات المحدودة التي حققتها هذه التدخلات العسكرية (الجوية في أغلبها) في التسعينيات في البوسنة، وفي تحرير الكويت من سلطة بغداد (تحت حكم صدام حسين) في 1991، فإن التدخلات العسكرية البرية على الأرض، التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001، في بداية القرن الحادي والعشرين، في أفغانستان والعراق أثبت أنها كارثية. وأظهرت الرحلة من البوسنة إلى بغداد، التي بدأت بحملة جوية وأرضية محدودة في البلقان في منتصف التسعينيات (1995)، وانتهت بغزو شامل للعراق - حقيقة محدودية تطبيق أحلام المثقفين المثاليين الليبراليين الذين اعتقدوا بإمكانية نشر الديمقراطية بالقوة، وأضفت بعداً جديداً لأهمية قراءة الخريطة التضاريسية والإلمام بالجغرافيا البشرية والثقافية لشعوب المناطق التي تسعى الولايات المتحدة وحلفائها إلى التدخل فيها.

يركز كابلان في الفصل الثاني الذي يحمل عنوان " انتقام الجغرافيا" وهو العنوان الذي اختاره عنواناً للكتاب، على توضيح أهمية المعرفة الجغرافية في قراءة التاريخ وصياغته، وفي صنع السياسات الخارجية واتخاذ القرارات المتعلقة بالذهاب إلى الحرب.

ويحاول أن يضرب عدة أمثلة على ذلك، فنجده يقول بأن الكارثة التي حدثت في العراق عقب التدخل العسكري للولايات المتحدة بينت لنا " أن موروثات الجغرافيا والتاريخ والثقافة تفرض بالفعل حدوداً لما يمكن تحقيقه في أي مكان بعينه"، الأمر الذي تجاهله واستخف به المثاليون في تسعينيات القرن العشرين ،في حين كان هذا موقف الواقعيين الذين عارضوا التدخل في العراق. ويضيف كابلان أنه في حين ظن المثاليون المؤيدون لمبدأ التدخلات الإنسانية، في المرحلة الأولى من فترة ما بعد الحرب الباردة ،أن بإمكانهم هزيمة الجغرافيا من خلال القوة الجوية، ونشر الحرية والديمقراطية في دول الشرق الأوسط، لكن اتضح في المرحلة الثانية من هذه الفترة أي مع بدء التدخلات العسكرية البرية في أفغانستان والعراق في بداية الألفية الثالثة، برز انتقام الجغرافيا القوي، ولم تفلح جهود الولايات المتحدة في نشر الديمقراطية، بل زادت الوضع سوءاً. ولذلك يطالب كابلان بالاعتراف بأهمية الجغرافيا في رسم السياسات الخارجية للولايات المتحدة، وفي صنع قرارات الحرب والتدخل في شؤون دول العالم الأخرى.

يلخص المؤلف في الفصل الثالث تحت عنوان" هيردوت وخلفاؤه " آراء العديد من المفكرين و المؤرخين، بدءاً من هيردوت و مروراً بابن خلدون وتوينبي وغيرهم،وتفسيرهم

لحركة تاريخ الشعوب والأمم، والصراع الحضاري ما بين الدول والإمبراطوريات. ويركز بدرجة أكبر على ثلاثة منهم برزوا في النصف الثاني من القرن العشرين هم: هانز مورغنثاو أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو، وأستاذا التاريخ: وليام ماكنيل ، و مارشال هوجسون بالجامعة نفسها. ويشرح لنا كابلان كيف أن أعمال هؤلاء المؤرخين السياسيين الموسوعية- بالرغم من اختلافها في وجهات النظر وفي التركيز الجغرافي- أظهرت أهمية التحليل الجغرافي لتفسير الصراع الحضاري والسياسي للأمم وبروز بعض الدول الكبرى والإمبراطوريات في فترات تاريخية معينة، وانهيار أخرى في الفترات نفسها. ويوضح أيضا كيف أنهم بينوا أهمية العوامل الجغرافية مثل الموقع والتضاريس والمناخ في الصراع الثقافي والحضاري ما بين هذه القوى السياسية الكبرى عبر التاريخ الإنساني.

يناقش الكاتب في الفصل الرابع آراء الجغرافي البريطاني الكبير هالفوردماكيندر التي نشرها في سنة 1904 في مقالته الشهيرة " المحور الجغرافي للتاريخ"، وما أدخل عليها من تعديلات لاحقاً في نظريته التي عرفت " بالمنطقة المركزية لأوراسيا" أو ما اصطلح عليه بنظرية " قلب العالم" أو " القوة البرية". فيستعرض الآراء النقدية لأفكار ما كيندر الجيوسياسية وتفسيره لقراءة التاريخ السياسي لأوراسيا، وتطور خريطتها السياسية من وجهة نظر جغرافية، التي ضمنها في كتابه " المثل الديمقراطية والواقع" الذي نشر في سنة 1919 في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ثم أعيد نشره في سنة 1942 بعد أن أجرى عليه بعض التعديلات في آرائه الجيوسياسية في نظريته المتعلقة "بالمنطقة المركزية لأوراسيا" وصراع القوى البرية ممثلة في (روسيا وألمانيا) والقوى البحرية ممثلة في (بريطانيا والولايات المتحدة، واليابان بدرجة أقل) في محاولات السيطرة عليها أو في احتوائها والحد من نفوذها.

بين كابلان في الفصل الخامس كيف طور الألمان علم الجغرافيا السياسية أو الجيوبوليتيكا ، واستعرض أعمال أهم روادها أمثال راتزل وكيلن السويدي وهاوسهوفر، التي تتمثل في نظريات الدولة العضوية، والمجال الحيوي،والتي تصف الدولة بأنها مثل الكائن الحي، يجب أن يكون لها مجالاً حيوياً تنمو فيه وتتوسع في الأقاليم المجاورة . وأوضح كيف أن هذه النظريات والأفكار وظفت لخدمة الرايخ الألماني بزعامة هتلر في تكوين قوة برية ضخمة و توسيع الإمبراطورية الألمانية على حساب الدول والشعوب المجاورة في أوربا. ويكون النازيون الألمان بتوظيفهم لهذه النظريات في تحقيق مآربهم التوسعية قد عملوا على تشويه الجغرافيا السياسية والانحراف بها لتطرح أفكاراً تدعو إلى جغرافيا عنصرية ومنحازة لسيادة عرق أو قومية معينة على حساب الشعوب الأخرى.

وتطرق في الفصل السادس إلى شرح " فرضية الأرض المحيطة" أو ما اصطلح عليه "بإقليم الحافة " أو " النطاق الهامشي" لنيكولاي سبيكمان التي نشرها سنة 1942 في كتابه: " استراتيجية أمريكا في السياسة العالمية: الولايات المتحدة وميزان القوى"، حيث ارتكزت على نقد لنظرية ماكيندر التي أعطت أهمية أكبر " للمنطقة المركزية" في أوراسيا

واعتبرتها مفتاح السيطرة العالمية. في حين رأى سبيكمان عكس ذلك بأن الأرض المحيطة هي أكثر أهمية من حيث الموقع الجغرافي المطل على البحار والمحيطات، ومن حيث الثقل السكاني، والثروات الطبيعية، ومن ثم رأى سبيكمان أن من يريد السيطرة على العالم فيجب عليه التحكم في هذه المنطقة. وقد شكلت هذه النظرية مرجعاً للسياسة الخارجية الأمريكية في فترة الحرب الباردة فيما عرف بسياسة " الاحتواء" للشيوعية أو تطويق القوة البرية المسيطرة على " المنطقة المركزية" ممثلة في الاتحاد السوفيتي ، عن طريق عقد مجموعة من الأحلاف العسكرية التي تمركزت في نطاق الأرض المحيطة.

وخصص الفصل السابع لشرح أفكار الكابتن البحري الأمريكي ألفريد ماهان حول أهمية القوة البحرية في الصراع العالمي وفي السيطرة على" الأراضي المتنازع عليها" بين القوة البرية المتمثلة في (روسيا) والقوة البحرية المتمثلة في (بريطانيا)،والتي أطلق عليها سبيكمان فيما بعد (1942) " الأرض المحيطة" وأصبحت مسرحاً للصراع ما بين القوة

المهيمنة على " المنطقة المركزية" وهي الاتحاد السوفيتي، والقوة البحرية الأمريكية وريثة بريطانيا في السيطرة على البحار والمحيطات في فترة الحرب الباردة. وأوضح كابلان تأثير أفكار ماهان في القوة البحرية وجاذبيتها في تحفيز الرؤساء الأمريكيين على بناء الأساطيل البحرية الحربية، و توجيه السياسة الخارجية الأمريكية نحو سياسة " الاحتواء"، وكذلك في تبني الخبراء الإستراتيجيين الهنود والصينيين لأفكاره وسعيهم لتطوير قوتهم البحرية ودخولهما في سباق للهيمنة البحرية في منطقة جنوب وجنوب شرق أسيا.

يناقش كابلان في الفصل الثامن، الذي أعطاه عنوان " أزمة المتسع"، مجموعة من القضايا المعاصرة التي تتمثل في الانهيار المستمر لعاملي الزمن والمسافة في عصر تطور تكنولوجيا المواصلات والاتصالات وأثرها على الجغرافيا التقليدية لأوراسيا. ويرى كابلان أنه مع النمو السكاني الكبير وملء المساحات الفارغة، وتركز معظم السكان في المدن العملاقة، فإن ذلك سيعمل على خلق حالة من عدم الاستقرار، وستشكل هذه التجمعات الحضرية خطراً في المستقبل على السلم العالمي ، خاصة مع انتشار التقنيات الهدامة مثل فيروسات الحاسوب وأسلحة الدمار الشامل النووية والبيولوجية. ويحذر من تنامي الجيوش غير النظامية الناتجة عن تدني الأحوال المعيشية في المناطق الحضرية المتدهورة، و تأثير وسائل الاتصال الحديثة (الانترنت) في تحريك هذه الجماعات والحشود الغاضبة واستخدامها لأسلحة الدمار الشامل. ويدعو إلى جغرافية حضرية جديدة تساعدنا على فهم كل هذه التطورات التي حدثت وتحدث في العالم في القرن الحادي والعشرين، خاصة في مناطق البؤر الساخنة في أوراسيا.

يوظف كابلان في الجزء الثاني من الكتاب، الذي عنوانه " خريطة أوائل القرن الحادي والعشرين "، آراء المفكرين والمؤرخين ونظريات الجغرافيين السياسيين في تحليله الجيوسياسي لمكامن الصراع والحروب المقبلة، مع التركيز على قارة أوربا المحاذية للمنطقة المركزية والمحيطة بها من الغرب، وعلى روسيا التي تمثل المنطقة المركزية أو " قلب العالم" عند ماكيندر. ويناقش كذلك عناصر القوة الاقتصادية والعسكرية التي تمتلكها دولتا الصين والهند اللتان تقعان في نطاق الأرض المحيطة (أو إقليم الحافة) عند سبيكمان، ويبين

الأهمية الإستراتيجية لهاتين القوتين في المنافسة بينهما على السيطرة على البحار والمحيطات التي تحيط بهما، و في صراعهما مع روسيا في محاولة الحصول على مخزون موارد الطاقة في الدول الواقعة في وسط آسيا .

في الفصل التاسع الذي عنوانه " جغرافية التقسيمات الأوربية" ، يؤكد كابلان حقيقة جغرافية مفادها: أنه بالرغم من أن الجغرافيا السياسية المعاصرة تركز على المسرح "الأفرو-أسيوي" الممتد من الشرق الأوسط إلى الصين، فإن الموقع الجغرافي لأوربا وإرثها الاستعماري التاريخي، يجعل منها نقطة الانطلاق الرئيسية لأي تفسير جغرافي للسياسة العالمية، ومناطق النزاع وبؤر الصراع الدولية. ولذلك نجده يحلل العوامل الجغرافية لقارة أوربا ويبين أثرها في الصراع السياسي العالمي. كذلك نجده يستشهد بالعديد من الشواهد التاريخية التي تبين الصراع بين الأمم والشعوب الأوربية في جانب، وشعوب القارة الأسيوية في الجانب الآخر. ويرى كابلان أن هذا الصراع بين أوربا والدول الأسيوية الواقعة في الشرق (خاصة مع روسيا) سيستمر في القرن الحادي والعشرين. وأن الانقسامات الداخلية في أوربا ستهدد وحدتها، وتؤثر في علاقاتها مع روسيا في المستقبل، خاصة في مجالات الحصول على

الطاقة والتسلح وفي قضية توسيع نطاق دول حلف الناتو باتجاه الشرق بالقرب من حدود روسيا بضمها لدول مثل أوكرانيا وجورجيا إلى أوربا.

في الفصل العاشر الذي يحمل عنوان " روسيا والمنطقة المركزية المستقلة"، يتحدث كابلان عن الجغرافيا السياسية لروسيا ويبين عوامل القوة البرية الكامنة في كبر حجمها وتضاريسها، ويشير أيضاً إلى نقاط الضعف فيها من حيث موقعها في العروض الباردة، وبعدها عن البحار والمحيطات الدفيئة، مما يفسر سعيها الدؤوب للتوسع غرباً وجنوباً للوصول إليها. ويستشهد على ذلك بصراعها مع البريطانيين في إيران والهند، وغزوها لأفغانستان، وصراعها مع الصين على الحدود في الشرق عند نهر أمور في منشوريا، وكذلك مع اليابان في جزيرة ساخالين. ويشرح كذلك الأهمية الإستراتيجية لهذه العوامل الجغرافية في صراعها مع الدول الغازية مثل: فرنسا في عهد نابليون في القرن التاسع عشر، وألمانيا في القرن العشرين، في عهد هتلر في فترة الحرب العالمية الثانية.

يناقش الفصل الحادي عشر " جغرافية القوة الصينية" ، وعناصرها المتمثلة في موقعها في نفس العروض المعتدلة، التي تقع فيها الولايات المتحدة في قارة أمريكا الشمالية، كما يبين الأهمية الإستراتيجية لموقعها البحري، فيما أسماه سبيكمان " الأرض المحيطة" المطلة على المحيط الهادي. هذا بالإضافة إلى أن كبر حجمها وتضاريسها المعقدة، ومواردها الزراعية، وحضارتها الموغلة في القدم، وثقلها السكاني، كلها تعد عناصر قوة تؤهلها إلى أن تكون في مصاف القوى السياسية الكبرى في العالم. وقد أدى انفتاحها الاقتصادي على العالم بعد التغيرات السياسية التي حدثت في نهايات القرن العشرين، إلى تطور اقتصادها وتقدمه، وأصبحت تنافس الدول الأوربية، وروسيا، والولايات المتحدة الأمريكية في الأسواق العالمية، وحتى في المجالات العسكرية، سواء بوصفها قوة برية في وسط آسيا، أو قوة بحرية في المحيطين الهادي والهندي، خصوصاً بعد تطوير قدراتها التكنولوجية العسكرية وامتلاكها

للصواريخ والأساطيل البحرية المتطورة. وبطبيعة الحال هذه القوة الاقتصادية والعسكرية الصينية الصاعدة ستظل هاجساً للولايات المتحدة خاصة في أماكن التوتر في المحيط الهادي، وبالتحديد في قضيتي تايوان وكوريا الشمالية.

يتناول كابلان في الفصل الثاني عشر " معضلة الهند الجغرافية" و يبين عناصر القوة والضعف في جغرافيتها السياسية. ويوضح أن من أهم عناصر قوتها هو موقعها المحوري في منطقة " الأرض المحيطة " كما تصورها سبيكمان. فهذا الموقع الساحلي على المحيط الهندي بين كل من الصين والشرق الأوسط الكبير، يجعلها تمثل جسر عبور يمتد من المحيط إلى "المنطقة المركزية " في قلب العالم الذي يقع في عمق قارة آسيا. وهي بهذا الموقع الإستراتيجي تمثل منطقة صراع بين قوى البر والبحر، وتسعى كل منها للتحكم فيها والسيطرة عليها. لكنه يرى بأن معضلة الهند تكمن في عدم تطابق حدود الهند كدولة مع الحدود الطبيعية لشبه القارة الهندية، ولذلك فهي تواجه تهديدات أمنية من جاراتها ، خاصة من باكستان في شمالها الغربي، و من ورائها أفغانستان التي أصبحت في وقتنا الحاضر معقلاً للتطرف والإرهاب، وكانت قبل ذلك في ثمانينات القرن العشرين، مسرحاً للحرب بين الجهاديين الإسلاميين مع القوات الغازية للاتحاد السوفيتي. هذا بالإضافة إلى التوتر الذي يهدد أمنها من القوة الصينية، سواء البرية في منطقة التبت عند حدودها الشمالية، أو نتيجة

للتنافس المحموم بين البلدين في بناء القوة البحرية وفي السيطرة على مناطق التقاء المحيطين الهندي والهادي.

ومع أن عنوان الفصل الثالث عشر هو " المحور الإيراني "، لكنه يتناول في الحقيقة جغرافية منطقة الشرق الأوسط الكبير وتاريخه والحضارات التي سادت في هذا الإقليم " الأفرو-أسيوي" ، الذي أطلق عليه هودجسون " الأكيومين " ، وهو يمتد من شمال أفريقيا إلى التخوم الغربية للصين. ويبين كابلان في هذا الفصل كيف أصبح هذا الإقليم من أقل المناطق استقراراً في العالم في القرن الحادي والعشرين، بسبب الموارد النفطية التي يزخر بها، وبسبب الصراع الحضاري والديني ما بين الشرق والغرب،و ما نتج عنه من حركات التطرف، وكذلك بسبب ما أحدثته ثورات الربيع العربي في تحريك الحشود الشعبية عن طريق استخدام وسائل الاتصال الحديثة. ويركز كابلان على الدور الإيراني ويرى بأنه محوري في هذه الصراعات التي ظهرت في الوطن العربي خاصة في العراق وسوريا واليمن.

يشير كابلان في الفصل الرابع عشر الذي عنوانه " الإمبراطورية العثمانية السابقة"، إلى أنه إذا كانت جغرافية الهضبة الإيرانية لها دور محوري في الصراع الحضاري والسياسي في الشرق الأوسط الكبير، فإن تركيا باحتلالها للجسر البري للأناضول (أو آسيا الصغرى)، وإرثها العثماني تمثل هي الأخرى منطقة صراع مستقبلي ما بين الشرق (العالم الإسلامي) والغرب المسيحي. وهي أيضاً مع إيران تمثلان جزءاً كبيراً من الحزام البري، أو ما أطلق عليه ماكيندر الهلال الداخلي الذي يحيط بالمنطقة المركزية (أو قلب العالم). وقد كانت وما زالت هذه المنطقة تقوم بوظيفة مهمة في منظومة حلف شمال الأطلسي، في ما عرف في أيام الحرب الباردة بسياسة الاحتواء. وفي الوقت الحاضر نلاحظ أن تركيا تسعى من ناحية إلى

التقرب من أوربا في محاولة للانضمام إلى الاتحاد الأوربي، ومن ناحية أخرى تحاول أن تكون طرفاً مهماً و لاعباً رئيسياً في رسم الخريطة السياسية للشرق الأوسط.

في الجزء الثالث تحت عنوان " مصير أمريكا "، يتناول المؤلف في الفصل الخامس عشر والأخير الأخطار التي ستواجهها أمريكا في المستقبل في حديقتها الخلفية من جارتها المكسيك، وكيف سيؤثر ذلك في رسم استراتجياتها وسياساتها الخارجية والداخلية، ومحاولة الموازنة ما بين سياسة العزلة والاهتمام بالمصالح الأمريكية في الأمريكتين ودول البحر الكاريبي، وسياسة التدخل في شؤون العالم القديم (في قارات أوربا وأسيا وأفريقيا) والمحافظة على المصالح الأمريكية في مناطق ما وراء البحار (في الشرق الأوسط والأقصى على سبيل المثال).

يعرض كابلان في بداية الفصل الخامس عشر والأخير تحت عنوان " بروديل، المكسيك والإستراتيجية الكبرى "، لكتابات بروديل التاريخية ودوره في إعادة الجغرافيا إلى مكانتها اللائقة في الأوساط الأكاديمية. وكان الهدف من وراء هذا العرض لأفكار بروديل مقدمة لبيان أهمية الجغرافيا في صياغة الإستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين. ويطرح سؤالاً مهماً كان قد أثاره الأستاذ في جامعة بوسطن باسيفيتش في حلقة نقاش حول سياسة الولايات المتحدة الخارجية، مفاده: ما الذي حققته سياسة التدخل الأمريكي في الشرق الأوسط الكبير من أفغانستان إلى العراق في ثمانينيات القرن العشرين؟ ثم يلحقه بسؤال آخر يقول فيه: أليس من الأجدر بنا أن نصلح الأمور في المكسيك التي تقع على حدودنا الجنوبية ؟ وأن نوظف كل الأموال الطائلة، التي تصرف على التدخلات الخارجية في تلك المناطق البعيدة من العالم، في حل المشكلات الخطيرة التي تعاني منها المكسيك، والتي سوف تهدد الأمن القومي الأمريكي في المستقبل. ويناقش في بقية هذا الفصل جغرافية أمريكا الشمالية، وعلاقة الولايات المتحدة الأمريكية بالمكسيك وكيف ستؤثر المتغيرات الديموغرافية والثقافية والاقتصادية الناتجة عنها في مستقبل الأمن القومي الأمريكي. ويثير قضية مهمة وهي الخيارات المطروحة أمام صانعي السياسة الخارجية الأمريكية، مابين سياسة العزلة وترتيب البيت الأمريكي، وسياسة التدخل الخارجي في البؤر الساخنة في دول الشرق الأوسط للمحافظة على المصالح الأمريكية، والبديل الثالث هو سياسة التوازن ما بين العزلة والانغلاق، وسياسة التدخل اللامحدود في شؤون الدول الواقعة في المناطق البعيدة في أرجاء العالم. وبعبارة أخرى يرى كابلان أن الإستراتيجية الكبرى لسياسة الولايات المتحدة الخارجية في المستقبل يجب أن تأخذ في حسبانها إحداث توازن ما بين المصالح الخارجية البعيدة والقريبة في المكسيك. ودعا كابلان في نهاية هذا الفصل إلى إباع سياسة خارجية هدفها تحقيق التوازن ما بين القوى المتصارعة في أوراسيا، في النصف الشرقي من العالم، وتعزيز الوحدة في نصف الكرة الأرضية الغربي.

قد نتفق مع الفرضية الأساسية للقضية المطروحة في هذا الكتاب، وهي أهمية الجغرافيا في فهم معظم الصراعات الدولية، وتفسير ما يجري في مناطق التوتر في البؤر الساخنة في العالم، ولكن من المآخذ التي قد تؤخذ على طريقة تناول هذه القضية في هذا الكتاب هي تركيزها على توضيح أهمية الجغرافيا في فهم الصراعات الدولية من منظور السياسات

الخارجية للولايات المتحدة والمحافظة على مصالحها في مناطق العالم المختلفة. النقطة الثانية التي قد نختلف فيها مع المؤلف هي دعوته إلى الرجوع إلى الخريطة التضاريسية (أي الجغرافيا الطبيعية) في تفسير العديد من الصراعات الدولية في العالم، في حين أن الكثير من هذه المشكلات السياسية هي معقدة بدرجة كبيرة وتحتاج إلى فهم كل الجوانب الجغرافية الطبيعية والبشرية (بكل أبعدها الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية) وتطوراتها التاريخية. لكن هذه الملاحظات لا تنقص من أهمية الموضوع المطروح في هذا الكتاب ، وأنصح كل المهتمين بالجغرافيا السياسية بصفة خاصة والجغرافيا بصفة عامة ، وكل الدارسين والباحثين في مجالات العلاقات الدولية والسياسات الخارجية والتاريخ الحديث والمعاصر،والتواقين لفهم ما يجري في عالمنا المعاصر من صراعات بين القوى الكبرى في العالم إلى قراءة هذا الكتاب لعلهم يجدون فيه ضالتهم.